

نظرية العقل

Theory of Minde

وردة يحيياوي، المركز الجامعي بريقة، (الجزائر)، wardayahiaoui@cu-barika.dz

تاريخ إرسال المقال: 2021-04-25 تاريخ قبول المقال: 2021-05-11

الملخص: هدفت الدراسة الحالية إلى استعراض نظرية العقل التي تعتبر من أهم المفاهيم في علم نفس النمو و علم النفس المعرفي، حيث تم تناول ماهية هذا المفهوم من خلال إعطاء لمحة تاريخية عن تطوره و أهم تعريفاته ليتم الانتقال إلى مبادئ نظرية العقل و أبرز مهامها، كما تم تناول مراحل تطور هذا المفهوم لدى الأطفال الأسوياء و كذا تناول أوجه القصور في حال غياب نظرية العقل عند البعض من ذوي الإعاقات الفكرية و في الأخير تطرقنا إلى مكونات و استخدامات نظرية العقل.

الكلمات المفتاحية: نظرية، العقل.

Abstract: The present study aimed to review the theory of mind, which is considered one of the most important concepts in developmental psychology and cognitive psychology, as the essence of this concept was addressed by giving a historical overview of its development.

And the most important of its definitions is to move to the principles of the theory of mind and its most prominent tasks. The stages of development of this concept among normal children were also addressed, as well as the deficiencies in the absence of the theory of mind among some with intellectual disabilities, and in the end we touched upon the components and uses of the theory of mind.

Key words : Theory of Minde

مقدمة:

يعتمد تفاعلنا مع العالم الخارجي على مكتسباتنا المعرفية اتجاهه من خلال العديد من العمليات والقدرات العقلية والمعرفية، والتي تبدأ في النمو و التطور منذ مرحلة الطفولة عبر مراحل متدرجة ومن خلال عدة عمليات معقدة تفسر من خلال ما يعرف بنظرية العقل Theory of Mind أو ما يطلق عليه بقرارة العقل Mind Reading ، وتتمثل نظرية العقل في قدرة الفرد على تفسير أو توقع أفعال الأشخاص الآخرين بشكل تلقائي وإدراك مدى اختلافها عن أفعاله، وكذلك قدرته على فهم أحاسيسهم والتنبؤ بسلوكياتهم. هذا ويعتبر التعامل بمفاهيم نظرية العقل ضروري للحياة الاجتماعية للفرد إذ أنه أساس لفهم، وإدراك، وتحليل، واستنتاج سلوكيات وتصرفات الأفراد الآخرين، و إن امتلاك الأفراد الطبيعيين والأسوياء لهذه القدرات (فهم وتوقع وتفسير سلوكيات الآخرين)، ساعد العلماء والباحثين على إيجاد تفسير علمي لعدم قدرة بعض الفئات على الاستجابة الطبيعية للمنبهات الاجتماعية المحيطة بهم كالأطفال المصابين باضطراب طيف التوحد، وأطلقوا على هذه الظاهرة بعمرى العقل، وحاولوا إيجاد حلول لها من خلال تدريبهم على مهام نظرية العقل.

إن الهدف الرئيسي من دراسة هذا الموضوع هو لفت نظر الأخصائيين في التربية الخاصة إلى ضرورة الاهتمام بمفاهيم نظرية العقل والسعي لتنمية القدرات المعرفية بصفة عامة خاصة لدى الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة لتمكينهم من التأقلم والتفاعل بشكل ايجابي مع محيطهم هذا من جهة، من جهة أخرى التنويه إلى أهمية تنمية المهارات والقدرات المعرفية لدى مختلف فئات المجتمع في إطار تحقيق ما يعرف بالتوافق النفسي الاجتماعي، وبهذا سنحاول من خلال مقالنا هذا التطرق لماهية نظرية العقل وأهم مراحل تطورها وكذا استخداماتها.

المبحث الأول: ماهية نظرية العقل

قبل التطرق لمفهوم نظرية العقل وماهيتها سنحاول استعراض الجانب التاريخي لهذه النظرية

المطلب الأول: لمحة تاريخية عن نظرية العقل

نشأ هذا المفهوم من خلال الدراسات العلمية المتتالية التي أسفرت عن ظهوره و فيما يلي استعراض لأهم المحطات التاريخية التي أسهمت في تبلوره .

بدأت الإرهاصات الأولى لنظرية العقل مع الأبحاث التي قام بها ثورونديك Thorndike عام 1901 في جامعة هارفارد حول استكشاف قدرة الأطفال على استنتاج الإجابات الصحيحة حول ما يفكر

فيه الآخرون بالاعتماد على تعابيرهم الوجهية، وفي عام 1903 أجرى Washburn بحثاً حول قيام شخص بقراءة عقل شخص آخر بالاعتماد على مشاهدته و تفسيره لتصرفات هذا الأخير، لتتوالى بعدها الدراسات التي تعنى بموضوع قراءة العقل حيث قدم Piaget نظريته في النمو العقلي للأطفال عام 1929 وأضاف مصطلح "أخذ منظور الآخر" للتعبير على قدرة الطفل على معرفة فيما يفكر الشخص الآخر، كما أسهم ظهور نظرية العزو في تبلور مفهوم نظرية العقل.¹

و يعد بريماك و ودراف (Premack and Woodruff, 1978) أول من أطلقاً مصطلح نظرية العقل Theory of Mind سنة 1978، أين تحول الاهتمام بنظرية العقل من الإطار الفلسفي إلى إطار علم النفس، والاهتمام بتحويل هذا الموضوع من التنظير والميتافيزيقيا إلى التجريب الإمبريقي.²

وقد كانت لأعمال سايمون كوهين Simon Baron-Cohen و زملائه التي نشرت في مقال بعنوان **Does the Autistic Child Have a Theory of Mind?** سنة 1985 و التي اهتمت بدراسة مفهوم نظرية العقل لدى الأطفال المصابين بالتوحد الأثر الكبير على هذا المفهوم، حيث أجابت نتائج هذه الدراسة على الكثير من التساؤلات المطروحة حول الأعراض التي يعاني منها هؤلاء الأطفال لا سيما فيما يتعلق بسوء التكيف الاجتماعي.³

المطلب الثاني: تعريف نظرية العقل

يتضمن المصطلح كلمة نظرية لان القدرة على التفكير فيما يدور في عقول الآخرين يشبه النظرية، حيث لا يمكن رؤيته و إنما فهم وتفسير سلوكهم في ضوء حالتهم الذهنية ومعرفة رغباتهم وأهدافهم ومقاصدهم⁴

وتشير نظرية العقل TOM إلي "الكيفية التي يتعامل بها الفرد مع أفكار ومعتقدات ومشاعر الآخرين من فهم وإدراك وتنبؤ".⁵ ويشير البعض إلى نظرية العقل تعني القدرة على استنتاج وتقدير الحالات العقلية مثل الاعتقاد، والرغبات، والنوايا والانفعالات.

كما يشير بريماك وودراف (permak & woodruff 1978) إلى أن نظرية العقل تعني أن الفرد ينسب إلى نفسه أو إلي الآخرين حالة عقلية ما (إما أن ينسب ذلك إلى أفراد من نفس نوعه أو ينسبه إلي كائنات أخرى) . وهذا النظام من الاستدلال يوصف بالنظرية لما يلي :

1. هذه الحالة العقلية لا تتم ملاحظتها مباشرة.
2. لأن هذا النظام يمكن أن يستخدم للقيام بتنبؤات خاصة عن سلوك الكائنات الأخرى.⁶

ويعرفها Woolfe , Want , and Siegal على أنها الفهم بأن اعتقادات الآخرين يمكن أن تختلف عما نملكه نحن من اعتقادات وكذلك قد تختلف عن الحقيقة الواقعية.⁷

كما تعرف نظرية العقل Theory of Mind بأنها قدرة الفرد على استنتاج الحالات العقلية (الاعتقادات، النوايا، الرغبات، التظاهر، الأفكار، المعرفة، الفهم، الصور، الادعاءات). سواء لنفسه أو للآخرين. وهي تعتمد على فكرة أن السلوكيات الصادرة عن الفرد تعتمد على قدرته على فهم ما يجري في عقول الآخرين من خلال تعامله معهم، وتعد هذه القدرة ضرورية للإنسان، فهي التي تمكنه من التواصل مع الآخرين والتفاعل معهم، وهي من أهم العوامل اللازمة للفهم الاجتماعي، كما أنها تعتبر ضرورية لفهم وتوقع سلوك الآخرين، وهي تتضمن في الواقع التفكير أو الشعور والتنبؤ.

كما أنها تعني باختصار القدرة على التفكير فيما يدور في عقلك وعقول الآخرين، فعلى سبيل المثال عندما يقوم الفرد باستثارة أحد الأشخاص فإنه حينئذ يفترض أنه من الممكن أن يقوم بالرد على هذا السلوك، ومن ثم يقوم بمحاولة للتصدي للسلوك الصادر عن هذا الفرد، هنا يعد هذا السلوك ناتجا لتخمين عقلي للسلوك الذي من الممكن أن يصدر عن الفرد الآخر، وهذا بالضبط ما تذهب إليه نظرية العقل من أن معظم سلوكياتنا تعد ناتجا لتخمينات عقلية أو عاطفية عن ما يرغب الآخرون في فعله.⁸

وعرفها كلا من شاندلر وهالا (Chandler and Hala, 1997) على أنها قدرة الفرد على إدراك الأفكار والتصورات العقلية والتفسيرات التي يعتمد عليها الأفراد الآخرون لتفسير ما يحدث في محيطهم المعيشي، وتتمثل في المعتقدات والنوايا والمعرفة والرغبات.⁹

ويذكر كلا من لويس وميتشل (Lewis and Mitchell, 1994) أن نظرية العقل تعرف على أنها القدرة على تقديم استدلالات عن الآخرين والتنبؤ بسلوكهم .

وتعني نظرية العقل عند ويلمان (Wellman, 1985) القدرة على عزو الحالات العقلية إلى الذات وإلى الآخرين، وهذه القدرة على معرفة العقل مطلوبة في جميع التفاعلات البشرية، كما أنها ضرورية لفهم سلوك الآخرين وتفسيره والتنبؤ به والتحكم به.¹⁰

وعرف كل من سليمان محمد سليمان، إيهاب الببلاوي و أسامة النبراوي نظرية العقل بأنها عبارة عن مجموعة من المهام، من خلالها يتعرف الطفل على مقاصد ونوايا ورغبات ومشاعر الآخرين من خلال معالجته لسلوكيات الآخرين.¹¹

ويعرف (Baron Cohen ;1995) نظرية العقل بأنها القدرة العقلية الإدراكية التي تمكننا من فهم الحالات الذهنية للآخرين، فالبشر عادة ما يفسرون سلوك الآخرين ويستنتجونه ضمن سياق الحالات

الذهنية في إطار عواطفهم و رغباتهم وأهدافهم، ومقاصدهم، وانتباههم، ومعرفتهم، واعتقادهم، وبذلك فإن نظرية العقل تشمل التنوع في التعامل الإدراكي.¹²

التعليق على التعريفات: من خلال التعاريف السابقة يمكننا استنتاج أن نظرية العقل تتجسد عموماً في فهم وتفسير مختلف السلوكيات الصادرة عن الآخرين والتنبؤ بها انطلاقاً من امتلاك قدرات واكتساب مهارات معرفية تساعد على ذلك، هذه المهارات والقدرات تمكن ممتلكها من فهم الجانب الوجداني (قراءة المشاعر) والمعرفي (قراءة الأفكار) للطرف الذي يتعامل معه، ومنه تستخلص وجود نوعين لنظرية العقل.

وفي هذا الصدد يوضح (Jonathan Dvash) أن هناك ما يعرف بنظرية العقل المعرفية: والتي تتضمن القدرة على قراءة الأفكار والنوايا والمعتقدات، وهناك نظرية العقل الوجدانية وتتضمن القدرة على قراءة المشاعر والانفعالات.¹³

المبحث الثاني: مبادئ و مهام نظرية العقل

يرتكز هذا المفهوم على عدد من المبادئ كما أن له عدة مهام .

المطلب الأول: مبادئ نظرية العقل

أشار سايمون كوهين إلي أربع نقاط أساسية ترتكز عليها نظرية العقل وهي :

1. يفسر الأفراد العاديون السلوك الاجتماعي عن طريق تقييم دوافع ومعتقدات الآخرين .
2. يفتقد الأفراد الذين لديهم اضطراب طيف التوحد إلي بعض مهارات قراءة العقل .
3. تمثل هذه المهارات جزءاً من البناء المعرفي للمخ .
4. هناك أربع آليات (ميكانيزمات) نمائية في الفرد تعزز من مشاركة وجهة نظر الآخرين وهذه الآليات هي :

- تحديد النية أو القصد : وتشير إلى تفسير الدافع أو الحافز للقيام بفعل أي شيء .
- تحديد اتجاه العين و الاستخدام الوظيفي للأعين في التعبيرات الانفعالية .
- آليات الانتباه المشترك (ويشير الإنتباه المشترك إلي رغبة الطفل في جذب انتباه الآخرين إلي ما يقوم به ؛ وقد يكون ذلك في عدة صور كأن ينظر الطفل إلي الآخرين ثم يعيد النظر إلي ما يقوم به، أو يشير إلي شخص ما كي ينظر إلي ما يقوم به ، أو يسحب يد الشخص ليري ما يقوم به).
- آليات نظرية العقل وتشير إلى المدى الكامل للحالات العقلية الإدراكية والمعرفية.¹⁴

المطلب الثاني: مهام نظرية العقل

يقصد بالمهام كيفية الاستدلال على مستوى تطور و نمو نظرية العقل لدى الفرد، وهنالك عشر مهام تعرف إجرائيا على النحو التالي:

المهمة الأولى : التعرف على تمييز المشاعر An Emotion Recognition: تقيس هذه المهمة قدرة الطفل على تمييز الحالات الانفعالية للأفراد؛ حيث يطلب من الطفل تمييز تعبيرات الوجه المختلفة (وجه سعيد، وجه حزين، وجه خائف، وجه غاضب).

المهمة الثانية: تمييز مظهر الشيء أو منظره Light of Sight Task: تقيس هذه المهمة قدرة الطفل على فهم أن الناس قد يرون الشيء الواحد بصور أو بمناظر مختلفة حسب وضعه.

المهمة الثالثة: استنتاج المشاعر المبنية على الرغبة: An Inference of Desire- Based Emotion تقيس هذه المهمة قدرة الطفل على التعرف على مشاعر الشخص (إذا ما كان سعيدا أو حزينا) في ضوء تحقيق ما يرغبه أو يتمناه .

المهمة الرابعة : استنتاج المعتقدات المبنية على الفهم An Inference of Perception- Based Belief تقيس هذه المهمة قدرة الطفل على فهم أن الرؤية تؤدي إلى المعرفة، وبعبارة أخرى القدرة على فهم أن الأشخاص يعلمون فقط الأشياء التي لديهم خبرة سابقة بها (سواء مباشرة أو غير مباشرة)، أي استنتاج الاعتقاد بناء على الفهم؛ حيث يعتقد الأفراد بأن الأشياء توجد في الأماكن التي سبق أن رأوها فيها، وإذا لم يروا شيئا ما فإنهم لن يعرفوا أنه في ذلك المكان.

المهمة الخامسة: استنتاج الأفعال بناء على الفعل An Inference of Perception- Based Action تقيس هذه المهمة قدرة الطفل على فهم أن الرؤية تؤدي إلى الفعل seeing leads to acting ويسمى أيضا الاعتقاد بالحقيقة Belief Reality؛ حيث يسعى الفرد إلى الفعل أو إنجاز المهمة ومحاولة الحصول على الشيء بناء على معرفته السابقة بمكانه .

المهمة السادسة: الاعتقاد الخاطئ من الدرجة الأولى First - order false belief task تقيس هذه المهمة قدرة الطفل على استنتاج الفكرة (أو المعتقد) في إطار أو سياق يحدث فيه تغيير غير متوقع في وضع الشيء.

المهمة السابعة: استنتاج المشاعر المبنية على الحقيقة والاعتقاد ومشاعر الدرجة الثانية An Inference of Belief-and Reality-Based Emotion and Second Order Emotion Task هي قدرة الطفل على فهم أن الاعتقادات والأحداث التي تخالف المعتقدات يمكن أن تسبب حدوث المشاعر، فقد يسعد الفرد بسبب حصوله على ما يريد أو بسبب اعتقاده أنه حصل على ما

يريد، أي أن المشاعر تعتمد على المعتقدات التي قد تتزامن أو تتعارض في بعض الأحيان. وتتضمن هذه المهمة أيضا مشاعر الدرجة الثانية والتي تقيس قدرة الطفل على فهم أن المشاهد قد يستنتج مشاعر بطل الرواية بصورة خطأ بناء على اعتقاد زائف عن رغبة هذا البطل.

المهمة الثامنة: التعارض بين الرسالة والرغبة a message-desire discrepant task
تقيس هذه المهمة قدرة الطفل على استنتاج معتقدات الآخرين بناء على تفسير وفهم العبارات التي تعبر عن رغباتهم.

المهمة التاسعة: الاعتقاد الخاطئ من الدرجة الثانية - A Second Order False Belief Task
تقيس هذه المهمة قدرة الطفل على فهم أن الآخرين قد تكون لديهم تصورات وأفكار خاطئة، أو لديهم أفكار مختلفة حول نفس الشيء؛ حيث يكون الطفل قادرا على تمثيل الخطأ في تفكير الفرد والذي قد يختلف عن تفكير بطل الرواية، أي أنه يقصد بالدرجة الثانية أن الاعتقاد الخاطئ يكون لدى الفرد المشاهد الآخر وليس بطل الرواية.

المهمة العاشرة: التمييز بين الأحداث والأشياء المادية والتصورات الذهنية العقلية The Mental Physical –Distinction
تقيس هذه المهمة قدرة الطفل على التمييز بين الخبرة المادية (الحقيقة) والخبرة العقلية (التصور والخيال)، مثل التمييز بين الكلب الحقيقي والكلب المتخيل.¹⁵
المبحث الثالث: مراحل نمو مفهوم نظرية العقل

يبدأ مفهوم نظرية العقل بالتطور في مراحل عمرية مبكرة تماما، وتظهر الذروة في نظرية العقل لدى الأطفال في الأعمار من (3-4) سنوات، كما يختلف تواجد هذه القدرة عند الأسوياء و غير الأسوياء .
المطلب الأول: نمو مفهوم نظرية العقل عند الأسوياء

هنالك اختلافات طفيفة بين العلماء في تقسيم مراحل نمو نظرية العقل لدى الطفل .

حيث يرى كل من (Berezkei & Paal, 2007) أنه يمكن أن تظهر المؤشرات الأولى لنظرية العقل لدى الرضع والصغار من خلال تتبعهم لخط نظر الآخرين و الاندماج في الانتباه المشترك، كما أن الأطفال في عمر سنة إلى ثلاثة سنوات يميزون بين الأحداث الفيزيائية والأحداث العقلية، بينما في عمر ثلاث سنوات يميز الأطفال عمليات التفكير عن العمليات العقلية الأخرى ويدركون أن الشخص يمكن أن يفكر في شيء دون أن يشاهده، و في عمر الأربع سنوات يدرك الأطفال أنه من الممكن أن توجد لدى الآخرين تصورات وأفكار خاطئة وأنه يمكن أن تختلف التصورات والأفكار عن الواقع، وفي

عمر خمس سنوات يميز بين المعلومات التي تتسى بسرعة والمعلومات التي يجب أن يحتفظ بها لفترات طويلة من الزمن، وفي عمر ست إلى سبع سنوات يدرك الطفل أن الآخرين يمثلون حالة عقلية أخرى و يضيف (Goldstein, 2010) أن الأطفال يتعلمون أن الناس المختلفين يمكن أن يختلفوا في الاستجابة للمثيرات الواحدة، ويمكن للأطفال في عمر ثمانية سنوات أن يفهموا معنى الغموض. وبتقدم الأطفال في العمر يصلوا إلى مستويات عليا فهم الاعتقاد الخاطئ وتفسير الأشياء الغامضة، ويمتد ذلك إلى مرحلة المراهقة، ويمكنهم فهم وجهات نظر مختلفة عن نفس الموضوع، ويمكنهم تمييز تحيز الشخص لموضوع ما، وبهذا تشهد مرحلة المراهقة تغيرا ملحوظا في تطور نظرية العقل.¹⁶

بينما أشار مور (Moore, 1996) إلى أن سن الثانية والنصف هو العمر الذي يكون فيه الأطفال قادرين على استخدام استراتيجيات مخادعة، وأنهم في العام الثالث من العمر يصبحون قادرين على معرفة الرغبات والقيم ولديهم القدرة على التمييز والتفضيل وعلى الإجابة عن الأسئلة المحددة والمباشرة فيما يتعلق بنظرية العقل.

بينما أكد ليزلي (Leslie, 1998) على أن قدرات نظرية العقل تكون موجودة فقط بعد سن الرابعة.

يرجع الاختلاف بين هذين الاتجاهين إلى المهام المستخدمة لفحص قدرات نظرية العقل، فيمكن أن تكون بعض المهام أسهل من مهام أخرى، كما يمكن أن توجد في عمر زمني أصغر أو عمر عقلي أقل، بينما هناك مهام أخرى أكثر صعوبة وتوجد فقط عند عمر زمني أو عقلي أكبر، وأن بداية السنة الثانية من العمر تظهر فيها بعض المؤشرات لنظرية العقل عن طريق الإيماء والتعبير اللفظي.

وذكر فلافل (Flavell, 1988) أن اللعب التخيلي أحد المظاهر المبكرة للقدرة على تمييز واستخدام علاقات الفرد المعرفية والعلاقات بالآخرين والمعلومات المكونة لديه عنهم.¹⁷

وفيما يلي عرض لمراحل تطور نظرية العقل حسب تقسيمات كل من: جوبنيك (Gponik, 1993) فقد كشفت دراسة جوبنيك (Gopnik, 1993) أن نمو نظرية العقل يمر بالمراحل التالية لدى الطفل :

- أن الأطفال في عمر سنة إلى ثلاث سنوات يميزون بين الأحداث الفيزيائية والعقلية فهم يميزون بين الأرنب الحقيقي والأرنب المتخيل.

- في عمر ثلاث سنوات يميز الأطفال عمليات التفكير عن العمليات العقلية الأخرى ويدركون أن الشخص يمكن أن يفكر في شيء دون أن يشاهده.

- في عمر الأربع سنوات يدرك الأطفال أنه من الممكن أن توجد لدى الآخرين معتقدات خاطئة وأنه يمكن أن تختلف المعتقدات عن الواقع.

- في عمر خمس سنوات يميز الأطفال بين المعلومات التي تتسنى بسرعة وبين المعلومات التي يجب أن يحتفظ بها لفترة طويلة من الزمن.

- في عمر ست إلى سبع سنوات يدرك الطفل أن الآخرين يمثلون حالة عقلية أخرى

- في عمر (9-11) عامة يطور الطفل القدرة على فهم ومعرفة زلات اللسان التي تظهر عندما ينطق شخص بشيء كان عليه ألا يقوله.

وقد تأكدت هذه المراحل في عدد من الدراسات منها دراسة قام بها ستين (Steen, 1997) حيث أوضح تركيبة نظرية العقل الميكانيكية من خلال فحص الأحداث الجارية في كل مرحلة من مراحل النمو: فأولى مراحل نظرية العقل تكون في حوالي الشهر الثامن عشر، على شكل الانتباه المشترك والتأشير الواضح ففي الانتباه المشترك يكون الطفل ليس قادراً فقط على فهم ما ينظر إليه الآخرون ولكن أيضاً على أن الطفل و الآخرين ينظرون إلى الشيء نفسه، قد يستطيع الطفل قبل سن (18) شهراً فهم أن أمه تنظر إلى لعبه كمثال ولكن في حوالي ثمانية عشر شهراً يفهم أنه وأمه ينظران إلى نفس اللعبة، أما في مجال التأشير فإن الطفل يستخدمه لجذب انتباه الكبار إلى الشيء الذي يريده.

المرحلة الثانية في تطور نظرية العقل في عمر 18-24 شهراً وفيها يكون الطفل قادراً على فصل التخيل من الحقيقة، وهذا يكون بين سن ثمانية عشر شهراً والأربعة وعشرين شهراً وفيها يبدأ بفهم الحالة العقلية للتظاهر، وفي مرحلة ما بين الثلاث والأربع سنوات تتطور القدرة لدى الطفل ليفهم المعتقد الخاطئ وقبل هذه المرحلة لم يكن قادراً على أن يفهم أن للآخرين معتقدات تختلف عن معتقداته، أي أن الطفل يفترض أن الآخرين يعرفون نفس الشيء الذي يعرفه، وفي هذه المرحلة يبدأ الطفل ما بين السنة السادسة والسابعة يفهم أن الآخرين يمثلون حاله عقلية أخرى، وفي هذه المرحلة يستطيع أن يحل المعتقد الخاطئ من الدرجة الثانية.

وفي المرحلة الخامسة يطور الطفل بين سن التاسعة والحادية عشرة قدرات أعلى لنظرية العقل مثل القدرة على فهم ومعرفة زلات اللسان، والتي تظهر عندما يتفوه شخص بشيء كان يجب عليه أن لا يقوله.¹⁸

المطلب الثاني: نمو مفهوم نظرية العقل عند ذوي الإعاقات الفكرية

تناولت العديد من الدراسات أبرزها دراسة بارون كوهين سنة 1985 نمو و تطور مفهوم نظرية العقل لدى الأطفال من ذوي الإعاقات الفكرية على سبيل المثال (متلازمة أسبرجر، متلازمة داون) و كانت نتائج هذه الدراسات أن هؤلاء الأطفال يعانون من قصور في هذا المفهوم لديهم، كما أن هذا القصور لا يرتبط بقصور في القدرات المعرفية الأخرى.

يرى كوهين أن الفشل الذي يظهره الأطفال المصابون بالتوحد يشكل عجزاً محدداً لا يمكن عزوه إلى التأثيرات العامة للتخلف العقلي ، وهكذا أثبت وجود عجز معرفي مستقل إلى حد كبير عن المستوى الفكري العام هذا ما يفسر كل من الافتقار إلى اللعب التخيلي والضعف الاجتماعي. الأمر الذي يمكن أن يحدد الروابط الأساسية بين نظرية العقل والمهارات الاجتماعية. مثل هذا النموذج يعتبر نهج جديد لتفسير الخلل المعرفي في التوحد في مرحلة الطفولة.¹⁹

حيث تظهر متلازمة التوحد من خلال مجموعة من الأعراض التي تشكل ثالوثاً محدداً من الضعف في كل من الاتصال و التخيل و التعامل الاجتماعي، و لقد ادعى أنصار فرضية نظرية العقل في التوحد بأن أحد أنواع العجز الرئيسية في التوحد هو العجز في القدرة على عزو الحالات العقلية للذات و للآخرين.²⁰ إن القصور في مهارات نظرية العقل لدى ذوي الإعاقة الفكرية يؤدي إلى عجزهم عن إدراك أن لدى الآخرين أفكار ومشاعر ورغبات تختلف عما لديهم، ومن ثم لا يدركون أن سلوكهم يؤثر على الآخرين سلباً، أو إيجابياً فيتصرفون دون مراعاة المشاعر وأفكار ورغبات الآخرين وأشار كل من Melot 2005 إلى أن امتلاك ذوي الإعاقة الفكرية لنظرية العقل تمكنه من معرفة أفكار ومقاصد الآخرين، وتوقع وتفسير سلوكهم، ومعرفة الحالات النفسية.²¹

أثبتت العديد من الدراسات أن العديد من ذوي الإعاقات الفكرية (اضطراب طيف التوحد، متلازمة داون) يعانون من قصور في هذه القدرات وقد أشار بارون كوهين (Baron Cohen 1995) إلى هذه الصعوبات تحت مسمى عمى العقل mind blindness و هو عكس مصطلح قراءة العقل mind reading، الذي يشير إلى قدرة الفرد على إدراك أفكار ومشاعر ومعتقدات الآخرين والتنبؤ بأفعالهم في مواقف معينة.²²

وقد أشار كل من يرميا نوريت، وشولمان كوري Yirmiya , Nurit & Shulman , Cory إلى أنه توجد فروق دالة بين قدرات الأفراد الذين يعانون من اضطرابات طيف التوحد وأقرانهم ذوي الإعاقة العقلية في مفاهيم نظرية العقل (مثل التظاهر، الرغبة، تمييز المشاعر، الاعتقاد الخاطئ من الدرجة

الأولى، الكذب، فهم النكت، الاعتقاد الخاطئ من الدرجة الثانية) لصالح ذوي الإعاقة العقلية، وبين مفاهيم نظرية العقل لدى ذوي الإعاقة العقلية والعاديين لصالح العاديين. كما أكدنا على أن القصور في مهام نظرية العقل منتشر بين مختلف الأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة ولكن بدرجات متفاوتة، وقد يكون أكثر شدة لدى الأطفال التوحديين، وأن الفروق في مهام نظرية العقل بين فئات ذوي الاحتياجات الخاصة المختلفة من ناحية و العاديين من ناحية أخرى قد تكون في بعض المهام وليس في جميعها، وقد يكون السبب في ذلك أن بعض المهام أسهل من بعضها الآخر.²³

المبحث الرابع: مكونات و استخدامات نظرية العقل

يضم مفهوم نظرية العقل عددا من المكونات و كذا الاستخدامات .

المطلب الأول: مكونات نظرية العقل

تتكون نظرية العقل من ثلاثة جوانب أساسية هي:

أولاً: الحالات أو التمثيلات العقلية (Mental Representations) : وترتبط بمفاهيم تشبه القانون أو القواعد العامة، وهي غير مستمرة ويختفي العديد منها مع الوقت، وتظهر على شكل أفكار ومعتقدات وأحلام وتخيالات و مفاهيم دلالية.

ثانياً: المعتقد الخاطئ (False Belief):و يرتبط بالقدرة على أخذ معرفة الآخر وتوقع أن الآخر الذي نتعامل معه يمتلك بعض المعلومات حتى لو كانت هذه المعرفة أو الاعتقادات مناقضة للمعرفة التي يمتلكها.

ثالثاً: المظهر الحقيقي (Appearance - reality) :هو قدرة الفرد على معرفة حقيقة الشيء حتى وإن عرض عليه بمظهر مختلف.²⁴

المطلب الثاني: استخدامات نظرية العقل

تتعدد استخدامات نظرية العقل لدى الفرد، و تتمثل فيما يلي:

- إضفاء معنى على السلوك الاجتماعي: حيث تعد قراءة العقل أسهل طريقة لفهم الآخرين، إذ يقوم الشخص بعزو الحالات العقلية للآخرين وتقديم صياغة لتفسير السلوك الحالي والتنبؤ بالسلوك التالي.

- إضفاء معنى على التواصل: يقصد به فهم رموز الحديث مثل التهكم والسخرية والاستعارة والدعابة، حيث من يقوم بالحديث لا ينوي أن يؤخذ كلامه بشكل حرفي وعلى المستمع أن يذهب لأبعد مما يسمع حتى يستطيع أن يفترض الحالة العقلية للمتحدث.

- الخداع: حيث نجعل الطفل يعتقد الشيء الحقيقي ولكنه في الواقع زائف، فالطفل العادي يبدأ في الانخراط في الخداع بعد فهمه للاعتقاد الخاطئ من سن أربع سنوات.
- القدرة الطبيعية على قراءة العقل: والتي تمنح الفرد القدرة على استنتاج كيفية تفسير الأشخاص للأحداث واستنتاج الانفعال فالطفل ذو الثلاث سنوات يستطيع فهم انفعال شخص آخر في البيئة المحيطة، وعند خمس سنوات يستطيع فهم الانفعالات التي تتولد من معتقدات الآخرين.
- الوعي بالذات أو التأمل الذاتي: فالطفل يستطيع نسب الحالات العقلية الخاصة بالآخرين لذاته ويمكنه بعد ذلك التأمل والتفكير في حالاته العقلية الخاصة به، فالطفل ذو الأربع سنوات ينجح في تمييز وإدراك أسباب السلوك الذي يقوم به، ويستطيع أن يكرر التدريب على الحلول المحتملة للمشكلات في عقله قبل أن يقوم بتطبيقها في الواقع.
- محاولة تغيير تفكير شخص من خلال الإقناع: حيث أن أفكار الآخرين ومعتقداتهم تتشكل من المعلومات التي يتعرضون لها مما يتيح الفرصة لتدريب الآخرين من أجل تغيير ما يعرفونه أو تغيير أسلوب التفكير.²⁵

الخاتمة: نستخلص مما سبق أن مفهوم نظرية العقل يعتبر من المفاهيم المهمة في علم نفس النمو و علم النفس المعرفي ، حيث ساهمت الدراسات التي أجريت على هذا المفهوم في إعطاء تفسير لكثير من المشكلات المرتبطة بعدد من الإعاقات الفكرية، تفسيراً أكثر دقة لعدد كبير من الأعراض التي بدت منذ زمن ليس ببعيد غير مفهومه خصوصاً لدى الأطفال المصابين بالتوحد حيث أسهمت في إيجاد تفسير لهذه الأعراض لاسيما فيما يتعلق بالصعوبات التي يواجهها الطفل التوحدي في اتصاله بالعالم الخارجي، وهذا ما يبرر ضرورة دراسة نظرية العقل و أخذها بعين الاعتبار عند تصميم برامج التكفل و التأهيل لذوي الاحتياجات الخاصة لاسيما المصابين بمتلازمة أسبرجر، هذا ولا تقتصر أهمية هذه النظرية على ذوي الاحتياجات الخاصة أو الإعاقات الفكرية وإنما ترتبط أيضاً بالأفراد الأسوياء، فهي توضح كيفية اكتساب قدرات معرفية متميزة و تنمية مختلف المهارات المتعلقة بالجانب المعرفي والوجداني واستخدامها بشكل متوازن وإيجابي في إطار التفاعل الاجتماعي.

الهوامش:

¹ حمدي شاكور ميسرة ، أثر برنامج قائم على مهام نظرية العقل في خفض الخلل النوعي للمدخلات الحسية لدى الأطفال ذوي متلازمة أسبرجر، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أسيوط، 2017، ص ص 14-15.

² الجوالده فؤاد عيد، فاعلية برنامج تربوي قائم على نظرية العقل في تحسين جودة الحياة للأطفال ذوي الإعاقات التطورية والفكرية، دراسات، العلوم التربوية، المجلد 40 ، ملحق 1، 2013، ص 395.

³ Baron-Cohen, S., Leslie, a M., & Frith, U. Does the autistic child have a theory of mind ? , 1985 , p37.

⁴ عبدالنبي الشيباني سهام ، مهام قراءة العقل وعلاقتها بالكفاءة الاجتماعية لدى الأطفال ذوي الإعاقة العقلية البسيطة في مدينة طرابلس، مجلة جامعة صبراتة العلمية، جامعة صبراتة، العدد الثالث، جويلية، 2018، ص 75.

⁵ الجارحي سيد محمد، استخدام القصة الاجتماعية كمدخل للتغلب على القصور في المفاهيم نظرية العقل لدى الأطفال التوحديين، المؤتمر العلمي الأول لقسم الصحة النفسية (التربية الخاصة بين الواقع و المؤمل) ،كلية التربية جامعة بنها ،المجلد الثالث، 2007، ص 1335.

⁶ الجارحي سيد محمد ،2007، نفس المرجع السابق، ص1336

⁷ أحمد حماد محمد ، نظرية العقل والتعاطف المعرفي والوجداني كمنبئات للعدوان الاستباقي وعدوان رد الفعل لدى الأطفال المعاقين سمعيا والعاديين، مجلة العلوم التربوية و النفسية، قسم التربية الخاصة كلية التربية ،جامعة نجران، البحرين ، المجلد 18، العدد 4 ، 31 ديسمبر 2017 ، ص 640.

⁸ عبد العزيز السيد الشخص ، رشدي أحمد سلوى، مقياس مفاهيم نظرية العقل، مجلة كلية التربية- جامعة عين شمس : كلية التربية وعلم النفس، العدد 36، الجزء 1، 2012، ص 780.

⁹ . الجوالده فؤاد عيد ، 2014، مرجع سبق ذكره، ص390.

¹⁰ الجوالده فؤاد عيد ، 2014، نفس المرجع ، ص 395.

¹¹ ثابت فضل أحمد ، فاعلية برنامج تدريبي قائم على مهارات الوظائف التنفيذية في تحسين مهام نظرية العقل لدى الأطفال ذوي الإعاقة الفكرية البسيطة، مجلة التربية الخاصة، المجلد الثامن، العدد 28، جويلية 2019 ، ص 11.

¹² صبري كامل مرسى محمد ، سعيده سيد إبراهيم أماني ، حسن السيد منى، برنامج تربوي قائم على نظرية العقل لتنمية الاتجاه نحو مادة اللغة العربية لدى الأطفال المعاقين عقليا القابلين للتعليم، معهد الدراسات والبحوث التربوية ، جامعة القاهرة، العدد 3، الجزء 2، جويلية 2014، ص482.

¹³ حمودي أسماء، دقيش رحمة، النظريات المفسرة لاضطراب التقمص لدى الحالات التي تعاني من التوحد، مجلة وحدة البحث في تنمية الموارد البشرية، المجلد 9 العدد 2 خاص (الجزء الأول) جويلية 2018 ، ص135.

¹⁴ الجارحي سيد محمد ، 2007، مرجع سبق ذكره، ص1338.

¹⁵ عبد العزيز السيد الشخص ، رشدي سلوى ، 2012، مرجع سبق ذكره، ص ص782-784.

¹⁶ ثابت فضل احمد، 2019، مرجع سبق ذكره، ص ص 20-21.

¹⁷ الجوالده فؤاد عيد ، 2014، مرجع سبق ذكره، ص 395.

¹⁸ الجوالده فؤاد عيد، صالح الإمام محمد، فاعلية برنامج تربوي قائم على نظرية العقل في تنمية مهارات أدائية حياتية لدى الأطفال المعاقين عقليا في الأردن، دراسات العلوم التربوية، كلية العلوم التربوية والنفسية، جامعة عمان العربية، المجلد 41، العدد الأول، 2014، ص ص 66-67.

¹⁹ Baron-Cohen, S., Leslie, a M., & Frith, U. , 1985, ibid , p37

²⁰ محمد صالح الامام، فؤاد عيد الجوالده، التوحد و نظرية العقل، ط1، دار الثقافة للنشر و التوزيع، الأردن، 2010، ص 290 .

²¹ ثابت فضل أحمد ، 2019، مرجع سبق ذكره، ص22.

²² الجارحي سيد محمد ، 2007، مرجع سبق ذكره، ص1337.

²³ عبدالعزيز السيد الشخص ، رشدي أحمد سلوى ، 2012، مرجع سبق ذكره ، ص 780.

²⁴ فتحي مرسي علي هيام، مهام نظرية العقل لدى أطفال متلازمة داون، مجلة جامعة الجوف للعلوم التربوية، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية، المجلد 4، العدد 2، 2018، ص ص 26-27.

²⁵ احمد ثابت فضل، 2019، مرجع سبق ذكره، ص 20.